كلمة الدكتور محمد عامر ماردیني
وزير التعليم العالي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾
فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

أيها الحفل الكريم:

باسم السيدة الدكتورة نجاح العطار.. نائب رئيس الجمهورية

وباسم وزارة التعليم العالي، وباسم الجامعات السورية على امتداد مساحة الوطن، وباسم معاهدها العليا ومراكزها البحثية، وباسم مجلس التعليم العالي، أتقدم بأحر التعازي إلى السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، وإلى شعبنا العربي في سورية لرحيل الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، ذلك العقل السوري المتفتق بالعلم، والكنز المعرفي الوافر، جعله الله قربانًا وإيذانًا بانتصارنا على الجهل والجاهلين، وعودة السلم والسلام إلى ربوع وطننا الحبيب بهمة جنودنا البواسل الغانمين، وبدماء شهدائنا الأبطال الميامين، إنه سميع مجيب.

أيتها السيدات...أيها السادة

لعله أمر بالغ الصعوبة أن أتحدث، وأن أكتب عن شخص لم أَلْتَقِ به إلا مرة واحدة في العمر...ولم يتجاوز الحديث في ذلك اللقاء، إلقاء التحية وحسب..

إلا أنه كان شرفًا عظيمًا أن أضع يدي في يد الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد.. أصافحه.. لا بل لم أكُ أحلم يومًا، أن أصبح خليفةً له في منصب وزير التعليم العالي..

كل الذي كنت أعرفه عن المرحوم عبد الله واثق شهيد ما كان ابن عمتي المرحوم الأستاذ الدكتور معن العظمة يرويه عنه أيام كنت طالبًا جامعيًّا... ثم لاحقًا ما كان يدور من حديث بين صديقين مع الأستاذ الدكتور محمد سامر الرفاعي، وفي كلتا الحالتين كان الحديث عن مدير مركز البحوث العلمية بالوَمْي وبالرموز والإشارات، وكأنه هو نفسه سرٌ من الأسرار العسكرية.

نعم حتى لِاسْمه كان وقع مختلف عن بقية الأسماء..اسم يمتلك من الهيبة ما يُلْمح إلى شخصية متميزة.. ولكل امرئ من اسمه نصيب..فهو العبد المتواضع لله..والواثق بنفسه وبوطنه ثم الشهيد..

وربما التكتم عن الحديث عن شخصه كان مرتبطًا بإدارته لأسرار البحث العلمي في الوطن.. أو ربما هي أخلاقيات الباحثين الأجِلّاء الذين يبتعدون عن المفاخرة والتفاخر.. أو ربما هو التكتم بحكم الأوامر العسكرية، لكننا عندما نقرأ سيرته العلمية، نجد أنه علامة متميزة منذ أن نشأ وترعرع في قريته الصغيرة دارة عَزَّة، إلى أن اعتلى منابر العلم والمعرفة في المغترب، ثم ليصبح أستاذًا جامعيًا فوزيرًا للتعليم العالي، فمديرًا لمركز البحوث العلمية.

نعم هو الأستاذ الجامعي الذي مزج العلم بالتربية، وهو الوزير المخطط لتطوير التعليم العالي، وهو المدير المتمرس الذي جعل من مركز البحوث منارة سورية إلى العالم المتحضر ونقطةً عُلّامةً على المستوى الوطني والعربي وحتى العالمي.

وباعتبار أن شعوب الأرض تبحر في تاريخها بشراع العلماء فقد كان – رحمه الله – قبطانًا ماهرًا حمل راية الوطن ورفعها عاليًا.. عقلًا سوريًّا متفتقًا بالعلم والمعرفة، يحق لكل مواطن أن يفخر به.. وصحيح أنه قد فارقها جسدًا، إلا أنه بقي بيننا خالدًا. فما مات من مات محمودًا خصائله.. وسيبقى حيًّا في قلوبنا وفي وجداننا لكل ما تركه لنا من علم وافر وأعمال جليلة، وبصمات متميزة، وإنسانية عظيمة.

لقد كان رحمه الله واحدًا من الشخصيات الوطنية الفذة والمتميزة كما تشهد أعماله العلمية، ومهماته التي تولاها، والإنجازات العظيمة التي أسهم في تحقيقها في المواقع التي شغلها.. وكل ذلك كان بجدارة واقتدار .. مضافًا إليها مناقب أخلاقية وإخلاص وولاء للوطن والتزام بالواجب.

الرجال أيها الراحل كُثْر.. لكن أمثالك قليل... الذين يشتغلون كما هي الشموع بمحاربة الظلام.. ظلام الجهل والتخلف وإنارة طريق الخير والعطاء.. طريق النور والمعرفة للأجيال القادمة..

ستبقى ذكراك عطِرة في قلوب السوريين جميعًا، وستفتقدك سورية كثيرًا كما ستفتقدك مكارم الأخلاق والإخلاص في العمل والتضحية في سبيل الوطن..

نعم كنت عظيمًا في حياتك وها أنت عظيم في مماتك..

نَمْ قرير العين لأنك خالد فيما قدمت، رحمك الله رحمةً واسعةً، وألهمنا جميعًا الصبر والسلوان، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم أجد في النهاية إلا بعض أبيات من الشعر في رثاء العظماء أمثالك أهديها إليك على لسان الشاعر جاسم الصحيح حيث يقول:

صُبُّوا على مثواه باقي حبره ... فلعله يرتاح داخل قبره
الحبر زمزمه الطهور فطالما ... روَّى الضمائر من منابع طهره
صُبُّوا على مثواه آخر قطرةٍ ... زرقاء تقبع في خزائن سِرِّه
واستنجدوا بالبحر يكتب دوننا ... مَرْثيةٌ تكفي لِسيِّد دُرِّه
البحرُ يرثي البحرَ حيث كلاهما ... أدرى بحزن الموج ساعة جزره
كلُّ امرئ في الدهر محض حكاية ... والحُرُّ من يغدو حكاية دهره

يـــا أيهـــا الجبـــل الطـــريح ولم يـــزل يُلقـــي عـــلى الآفـــاق هيبـــة صـــخره
المـــوت علَّمـــه الخطابـــة صـــامتًا فتحـــدثت لغـــة اللغـــات بثغـــره
والنخـــل كـــان هنـــاك يفـــترع المـــدى حزنًـــا، ويســـقط دمعـــه مـــن تمـــره
لا تنظمـــوا خـــرز البكـــاء قوافيًـــا مـــا ثَـــمَّ أجمـــلُ مـــن قصـــيدة نثـــره

هـــذا مقـــام الشـــاكرين وهـــا أنـــا قلـــم يطيـــل لـــديك ســـجدة شـــكره
لـــو كـــان عمـــرك بيـــتَ شـــعر لم يجـــد عجـــزًا يعـــادل مـــا احتـــواه بصـــدره
الشـــعر سِـــكّين ولـــيس بشـــاعر مَـــن لا تُجرِّحـــه كتابـــة شـــعره

رحمة الله على فقيد سورية، ولكم طول البقاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته